**دروس أنثروبولوجيا الريف والمدينة**

**لفائدة طلبة السنة الثالثة ليسانس، تخصص: أنثروبولوجيا**

**الأستاذ: بوحسون العربي**

**استكمال المحاضرة (الخامسة)التي قدمت قبل العطلة**

**ثانيا: المدينة:**

**-المفهوم اللغوي:**

يعرف قاموس المحيط المدينة لغويا بمعنى "الاستقرار" ومن تم يأتي معنى مدن أي أقام،و يشير القاموس إلى القرية بمعنى الاستقرار. أي أن الأساس اللغوي جعل القرية والمدينة يحملان نفس المعنى.(السيد حنفي عوض، 1997،ص28)

من حيث اللغة مصطلح "الحضر" يعني الحاضرة، وهي المدن والقرى وكذلك الريف، سميت هكذا لأن أهلها حضر، أي أنهم سكنوا الديار ولهم بها قرار، أي مقيم بها، ومستقر دائم.

وقد توسع العرب في هذا المفهوم"الحضر" وجعلوه ملائما للاستقرار والاشتغال ببعض المهن والحرف التي تعطي نمطا معينا للحياة.(عبد الحميد بوقصاصة، د/ت. ص101)

**-المفهوم الاصطلاحي:**

هناك تعريفات عديدة ترجع حسب طبيعة البيئة التي وجد فيه الباحث، وأغلبيتها تركز على التعريف الإحصائي لعدد السكان، أو نوعية النشاط(الصناعي)، أو المورفولوجية(البنايات). سوف نقدم في هذا المدخل واحد من التعريفات لتوضيح اختلاف المدينة عن الريف: "المدينة هي المجال الذي لا يقل عدد سكانه عن 5000 نسمة يعمل غالبيتهم بداخلها( على عكس الأرياف والقرى التي يعمل غالبية سكانها خارجها في مزارع أو مناجم".(عبد الله عطوي، 2001، ص 12)

كما يعرف معجم اللغة العربية المعاصر المدينة بأنها تجمع سكاني متحضر يزيد على تجمع القرية.ونذكر أيضا تعريف آخر لمجمع المعاني الذي يرى أن المدينة من مصدر مدين، وهي المصر الجامع، أي تجمع سكاني يزيد على تجمع القرية.

نلاحظ مما سبق التركيز على العامل العددي (الإحصائي) للسكان، بالإضافة إلى مسألة التجمع(أي التمركز).والمدينة هي المحلة اللازراعية (non-agriculture) وعرفها راتزل (Ratzil) على أنها اتحاد طويل الأمد بين الجماعة والمساكن البشرية، وتغطي مساحة كبيرة وتوجد عند تقاطع طرق ومفترق الطرق التجارية.

**-شبه الحضري:**

هي ليست حضرية، ولكنها قريبة من المدينة بالمفهوم المادي، من حيث توفر وسائل الحياة العامة، وعدد السكان، ونوع النشاطات غير الكثيفة، ولكن ملامحها المادية ونمط ثقافتها يؤهلها عند تحقيق مقاييس معينة لتصبح منطقة حضرية.(مدينة) وهذه المقاييس تختلف من بلد لآخر.

**-المجتمع الصناعي:**

المجتمع الصناعي كما يرى (ريموند آرون) RAYMOND AROND أحد أبرز علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين: هو المجتمع الذي يكون شكل إنتاجه الصناعي من أعظم مميزاته والذي يضم مؤسسات صناعية كبيرة تتم فيها عمليات الإنتاج الصناعي. فهذا المجتمع له علاقة وطيدة بالمجتمع المتمدن بحكم تنوع النشاطات وكثرة الحركة السكانية والتجارية والتنوع الاستهلاكي.

**-المجتمع الحضري:**

يشير مفهوم التحضر إلى المعنى العددي، أي زيادة سكان المدن عن طريق نزوح سكان الريف بسبب تغير الحياة وتوفر شروط جيدة لنمط حياة أكثر رقي، مثل التمدرس والصحة والرفاهية والعمل والنقل والاستهلاك الحديث إلخ. بينما الحضرية بالمعنى الكيفي كما يعرفها لويس وارث هي تغير نمط أو أسلوب الحياة، ويمكن أن نطلق عليها الثقافة الحضرية التي يكتسبها الفرد من خلال إقامته في المدينة. محمد بومخلوف، التحضر، شركة دار الأمة الجزائر، ط1، 2001، ص 28

**-المجتمع المعاصر والثقافة المعاصرة :**

هو مجتمع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المرادفة للمؤسسات الرسمية والتي تعمل بشكل طوعي وحر وباستقلال نسبي عن سلطة الدولة، وذلك من أجل تحقيق مصالح أفرادها.

لذا تسعى مؤسسات المجتمع المدني المعاصر لتحقيق أغراض متعددة منها أغراض سياسية، كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني (الأحزاب السياسية) ومنها غايات نقابية كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة ومنها أغراض ثقافية كما في الجمعيات النقابية التي تهدف إلى نشر الوعي. ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية. لذا يمكن القول أن العناصر البارزة لمؤسسات المجتمع المدني هي الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والاتحادات المهنية والجمعيات الثقافية والاجتماعية.

**المحاضرة السادسة:**

**القسم الأول: الأنثروبولوجيا الريفية**

**-تمهيد:**

هناك علم آخر لايبتعد عن الأنثروبولوجيا تميز بدراسته للريف والمدينة وهو علم اجتماع الريف والمدينة، ولكن النظرية السوسيولوجية لها طابعها الموضوعاتي(المتخصص) والمنهجي(الكمي)، ولها روادها من العلماء وهم كثيرون. حيث تتوفر المادة الأنثروبولوجية بكثرة في الأبحاث السوسيولوجية، لكننا نحاول أن نصنع التمييز ولو بشكل بسيط من أجل التركيز على الطابع الأنثروبولوجي للفضائين الريفي والحضري.

قام بعض علماء الأنثروبولوجيا ببعض الدراسات الأنثروبولوجية حول الريف في بعض القبائل والجهات، تناول بعضها مفهوم الريفي قريب من مفهوم البدائي، من أهمها:

-دراسة الانثروبولوجي الانجليزي إيفنس بريتشارد Ivans Pritchard لقبيلة النوير Neer السودانيةthe Neer.(1940). هي عبارة عن دراسة وصفية لأمزجة وطرق العيش لشعب النوير.

-دراسة الأنثروبولوجية الأمريكية روث بنديكتR.Benedictلبعض قبائل الهنود الحمر وثقافتهم، في كتابها أنماط الثقافة.Patterns of culture.(1949)

-دراسة العالم الأنثروبولوجي الأمريكي روبرت رد فيلد R.R.Field لقرية يوكاتان بالمكسيك.

-تعتبر هذه الدراسات بالرغم من قلتها نماذج لأبحاثالأنثروبولوجيين، لفضاء القرية والريف والبادية والبدائية، وهي فضاءات انثروبولوجية بامتياز. ولكن دوائر الاشتغال العلمي للأنثروبولوجية القروية(الريفية) لا يمكن حصرها في مجال القرية وحدها، ولا في موضوع الإنسان القروي وحده. بل أن الريف له عدة معاني ويصعب تحديده بدقة، لذا فإن مجال الأنثروبولوجيا الريفية يتداخل مع كثير من المعارف، وأهمها: علم السكان، الجغرافيا، الاقتصاد، التاريخ، الاثنوغرافيا، علم الاجتماع الحضري والريفي، علم اجتماع التنمية، علوم التعمير والتهيئة، والهندسة القروية.

كل هذه المعارف تشتغل بالمجتمع القروي والريفي وتؤسس من خلاله عدة مقاربات واتجاهات علمية. نستطيع القول أن الأنثروبولوجيا القروية تجد مكانها في القرية كموضوع مميز لها، فهل هناك فرق بينها وبين أنثروبولوجيا الريف؟

**-تعريف علم الإنسان الريفي/ الأنثروبولوجيا الريفية:**

هي العلم الخاص بدراسة أهل الريف، وعلاقاتهم ببعضهم البعض، وعلاقاتهم مع غيرهم من الناس والسكان غير الريفيين، أي الحضريين وشبه الحضريين. يهتم هذا العلم بدراسة البيئة الريفية(القرى والمداشر) من حيث العلاقات الاجتماعية والمؤسسات والوظائف، والبناء الاجتماعي(المؤسساتي وخاصة الأسري-العائلي)، وأنماط العيش المختلفة.

إلى غاية الخمسينيات من القرن الماضي ظل ينظر إلى الريف بأنه ذلك المكان الذي يقع خارج المناطق الحضرية ويزاول سكانه الزراعة. لكن لوحظ أن هناك العديد من المناطق تقع في الأطراف المحيطة بالمدن الكبرى المأهولة بالسكان يزاولون أفرادها الزراعة لكنهم لا يعدون من سكان الريف، بل هم أقرب إلى سكان الحضر. ومن هنا أصبح مفهوم الريف لا يرتبط بنشاط الزراعة وحده كمعيار أساسي. بل أن علم الاجتماع يعرف الريف بأنه ذلك المكان الذي يضم مناطق للتجمعات السكانية المتفرقة أو المتصلة التي يقل عدد سكانها عن 2500 نسمة والتي تتميز بعلاقات اجتماعية قوية مترابطة ومتداخلة على أساس من القربة والتعاون التام في الوقت الذي يمارسون فيه نشاطا اقتصاديا تمثل الزراعة غالبيته.

**-تعريفات للمجتمع الريفي(التعريفات الكلاسيكية):**

**-تعريف ر.ر.فيلد: Robert Redfield(1897-1958) الأنثروبولوجي الأمريكي:**

المجتمع الريفي هو مجتمع شعبي بسيط منعزل تسوده الأمية والتجانس، يوجد بين أعضائه إحساس قوي بالتضامن الاجتماعية، تحدد أساليب المعيشة فيه بطريقة آلية وفقا للنسق المتماسك الذي هو الثقافة.

من مميزات المجتمع الريفي أن أعضائه يهيمن عليهم التفسير القدري للظاهرة:

-كتفسير الجفاف بغضب الطبيعة، وبانحراف الناس عن الدين، وليس بواجب الاجتهاد العلمي والبحث عن الوسائل العلمية لتحدي الظروف المحيطة بهم.

-مجتمع تلقائي، تقليدي.

-العلاقات الاجتماعية ونظم القرابة فيه تعتبر نماذج يقتدى بها.

-سيطرة الدين على الحياة الدنيوية.

-نظام الاقتصاد مبني على المكانة الاجتماعية والمقايضة أكثر من اعتماده على قوانين السوق.

وقد حدد رد فيلد المجتمع المضاد للمجتمع الريفي بالمجتمع الحضري Urban Society

**-تعريف عالم الاجتماع الفرنسي إيميل دوركايم:**

يرى دوركايم أن المجتمع الريفي يقوم على التضامن الآلي MecanicalSolidarity لأن نوع العمل واحد بالنسبة للجميع(التجانس التام)، ويمتاز هذا المجتمع بالسذاجة والبساطة.

فالمجتمع الريفي هو الأكثر تشابها وتجانسا في السمات النفسية والاجتماعية وحتى السلالية نظرا لكثرة الزواج الداخلي والقرابي.وهذا انطلاقا من نظرية تقسيم العمل Division of Labor بينما المجتمع الحضري يسوده التضامن العضوي OrganicSolidarity. فأعضاء المجتمع كأعضاء الجسم الواحد، كل فرد يقوم بوظيفة ما، ولكنهم متساندين على استمرار الحياة في إطار المجتمع العام الذي ينحو نحو التعقيد. (Emil durkheim. 1898)

**-تعريف لويس ويرث Louis Wirth(1897-1952)**:

من خلال كتابه الظاهرة الحضارية كنمط للحياة. Le phénomène Urbain comme mode de vie يعرف المجتمع الريفي من خلال تعريفه للمدينة(المجتمع الحضري)، حيث يقول أن المدينة عكس الريف تتميز بعدم التجانس لأنهاتضم نوعيات مختلفة من السكان والطبقات الاجتماعية، وتسودها العلاقات الثانوية على حساب علاقات القرابة، أي العلاقات السطحية المصلحية، والتي يسودها أيضا قواعد الضبط الاجتماعي الرسمي(القانون وأجهزته المختلفة). وكل هذا خلافا لما يسود الريف.وهناك تعريفات أخرى تعتبر المجتمع الريفي: مجتمع زراعي، مجتمع الصيد، مجتمع لا يحتمل عدد كبير من السكان.

**-تعريف نذير معروف: الأنثروبولوجي الجزائري:**

من خلال كتابه العلاقة بين المدينة والقرية، يرى أن ما هو ريفي وما هو حضري في الجزائر غير محدد بالمعايير السابقة. لا ينبغي تعريف هذا الوسط بالرجوع إلى المعطيات الدمغرافية لسكان القرى، وبنية اليد العاملة، وحجم الإنتاج الزراعي من الناتج الوطني الخام. فإلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية توجد عوامل تاريخية، حضارية وثقافية، تخص نمط العيش والسلوك وتأويل العالم، حيث تعد الرموز الدينية نقاط ارتكاز ومرجعيات لقراءة الواقع وبنائه، فالبركة والولي الصالح لهما آلية من آليات التفكير والفعل في هذا الوسط الذي كثيرا ما كان مورديه تحت السمع والطاعة تارة، وتحت التمرد والعصيان تارة أخرى. N. Maarouf, la relation ville compagne dans la théorie et la pratique 2 éd, OPU 1981 P, 73 92.

**الظاهرة الريفية: Ruralisme**

تعني نمط من الحياة على نطاق واسع من الأرض يتكامل فيه نشاط السكان، ونمط حياتهم ليشكا انتشارا حضاريا واسع النطاق. لذلك صار ينظر للظاهرة الريفية في ثلاث معان:

**-معنى إيكولوجي:** يمثل البيئة ومكان الإقامة.

**-معنى مهني:** يمثل اشتغال أغلب السكان في العمل الزراعي.

**-معنى اجتماعي:** يتعلق بسلوك واتجاهات المجتمع الريفي.

**المرجع: الزوكة محمد خميس، نوال فؤاد، جغرافية الريف، مطبوعات دار المعرفة، الأسكندرية، 1991، ص17.**

بناء على المعني السالفة الذكر المتعلقة بالمجتمع الريفي يمكن ملاحظة خصائص المجتمع الريفي مقارنة بالمجتمع الحضري فيما يلي:

-حجم المجتمع، عدد السكان، طبيعة المهنة، وقت العمل والبطالة(البطالة الموسمية)، نوع الخبرة المكتسبة في البيئة المحيطة(ريف-مدينة)، مستوى ونوع المعيشة، الثقافة(البساطة والتعقيد)، الضبط الاجتماعي(العرف-النظام والقانون)، المعايير والعادات والتقاليد، الفوارق الاجتماعية، التعاون المتبادل.

**المحاضرة السابعة**

**-التعريفات الحديثة للمجتمع الريفي:**

**-تعريف لوري نلسون Lori Nelsson عالم الاجتماع الريفي(أمريكي):**

يعتبر المجتمع الريفي هو ذلك المجتمع الذي:

- ترتفع فيه درجة الألفة بين أعضائه(أي العلاقات التضامنية) والعلاقات الشخصية غير الرسمية.

- تغلب على أعضائه مهنة الزراعة، مع إمكانية إدخال مهن أخرى.

فأمريكا عموما أعطت تعريفا إحصائيا لعدد السكان، وترى أن المجتمع الريفي لا يزيد عدد سكانه عن 2500، وإذا زاد عن هذا الحد فهو مجتمع غير ريفي حتى ولو كان أعضاؤه يعملون في الزراعة.

**-تعريف ريمون فيرث Raymond Firth عالم الأنثروبولوجيا الاقتصادية.**

يقول: إن اصطلاح المجتمع الريفي ينطبق على كل مجتمع يتكون من عدد من المنتجين لغرض الاستهلاك الخاص(الذاتي). أي المجتمع الذي لا يفكر في الانفتاح من خلال التبادل مع مجتمعات أخرى عن طريق السوق، وهذا المجتمع يعتبر بسيطا بحكم نشاطه الاقتصادي. حيث أدمج صناع الحرف اليدوية، والصيادين ضمن فئة الريفيين.

لقد درس مجتمع"التيكوبيا"Tikopia وهي جزيرة تقع في المحيط الهادي جنوب جزر السلمون، وغينيا الجديدة عدد سكانها 1200 نسمة ومساحتها5 كلم2 .

**-تعريف هيئة الأمم المتحدة (ONU):**

اعتمدت في تعريفها على المعيار الكمي(الإحصائي)، وانطلاقا من هذا: تكون التجمعات السكانية ريفية إذا قل عدد سكانها عن 2000 نسمة.

**-تعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:**

**Organisation de Coopération et de Développement Economique(OCDE)**

اعتمدت على ثلاثة معايير:

-معيار الكثافة السكانية، 150 فرد/كلم2.

-صغر حجم التجمعات وتفرقها عن بعضها البعض. وهذا لا ينطبق مثلا على الهند التي يقطنها أقل من 50 فرد/ كلم2

-البعد عن المدن والأسواق الحضرية.

-هيمنة النشاط الزراعي، وقلة الأراضي المخصصة للبناء والزراعة.

-البناء الاجتماعي تقليدي، وبسيط.

**-تعريف منظمة الزراعة والتغذية:**

**Food and Agriculture Organisation(FAO)**

**وكذلك منظمة اليونسكو:**

**United Nations Educational Scientific and Cultural Organisation(UNESCO)**

المجتمع الريفي هو عبارة عن تجمعات سكانية، تتوسطها مراعي وغابات وجبال وأنهار، أهم نشاط سكانها الزراعة وبأجور منخفضة.

**المحاضرة الثامنة**

**-أهم المدارس والنظريات التي تناولت المجتمع الريفي:**

ما هي جذور نشأة أنثروبولوجيا الريف/القرية؟: اعتمدت هذه النشأة على ما قدمته الاثنولوجيا الفرنسية(المنوغرافية)، وكذلك الأنثروبولوجيا الأمريكية (الامبريقية-الواقعية)، ولكن من الإجحاف أن نمر على هذه المدارس الغربية دون معرفة مساهمة المدرسة العربية التي تزعمها العلامة العربي عبدالرحمن ابن خلدون، وتجلت مساهمته في كتبه عن المجتمع الريفي والبداوة والحضر في مقدمته المشهورة.

**1-المدرسة العربية:(ابن خلدون):**

أشار ابن خلدون من خلال كتابه المقدمة إلى المجتمع البدوي والريفي وتعمق في شرح بنيات هذا المجتمع.وللإشارة يعتبر ابن خلدون عالم اجتماع وأنثروبولوجي، اعتمد على منهجية المعاينة المباشرة وطريقة تمحيص الواقع، والمقارنة بين سكان البدو والحضر في كل جوانب الحياة، هذا ما يعطيه صفة الأنثروبولوجي.

يركز ابن خلدون في تعريفه للمجتمع الريفي على ما يلي:

-العامل الاقتصادي ذو أهمية كبيرة، ويتضمن البناء الاقتصادي العام(النشاط، العلاقات الاجتماعية،وسائل الإنتاج، طبيعة الملكية، والتوزيع).

-الروابط والعلاقات بين السكان(التبادل الاجتماعي والاقتصادي).

-نظام القرابة والملكية والسلطة العائلية المترتبة عن البناء الاقتصادي.

**-من هم الريفيون عند ابن خلدون؟**

-هم الذين يمتهنون الفلاحة بالدرجة الأولى كنشاط مادي.

-الذين يعيشون حالة استقرار دائم عكس البدو الترحال.

-المتمسكون بزراعة الأرض وتربية النحل والمواشي، وتجد علاقتهم قوية بالأرض.

**-من أهم خصالهم وطبائعهم:**

-الرضا والقناعة والتعاون فيما بينهم.

-لا يميلون إلى حياة الترف والكماليات، انطلاقامن تأثير البيئة الريفية.

-ثقافتهم متواضعة، ويتميزون بالبساطة عكس التعقيد.**(مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، المجلد الأول، 1982، ص210: الباب الثاني، والفصول(3،2،1 ) في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال).**

**ملاحظة:**

لكن هذه الخصال والطبائع والخصائص ليست ثابتة، ودائمة، بل هي خاضعة لكل أنواع التغير والتحول الذي يحدث على مستوى سيرورة المجتمع. وفي هذا الباب يؤكد علماء الغرب سواء من أمريكا أو أوروبا على أن الصناعة والتكنولوجيا هي العوامل الأساسية في عملية التغير التي تشهدها البلدان.

**2-المدرسة الفرنسية:**

تبدأ البدايات التأسيسية لأنثروبولوجيا القروية حسب دراسة مارسيل جوليفاتMarcel Jollivet إلى دروس الأنثروبولوجيا القروية التي كان يقدمها جين ستوتزلJean Stoetzel بمعهد الدراسات السياسية بباريس فرنسا خلال العامين(1948-1949)، قبل أن يتولى هذا الدرس هنري مندراسHenri Mendras المؤسس الفعلي للأنثروبولوجيا القروية لكونه من بين الأوائل الذين كرسوا جهودهم المعرفية للشأن القروي.

لقد حاول هذا الأخير(هـ.مندراس) تقديم نموذج نظري لتحليل المجتمعات الفلاحية معتمدا على نماذج الأنثروبولوجيا الأمريكية التي انشغلت بالمجتمعات القروية مند العشرينيات من القرن الماضي(1910-1920).

انشغل مندراس بالموضوع القروي بالتعاون مع اقتصاديين ومؤرخين.

إذن: يجب على الأنثروبولوجي القروي أن يختار مناهجه من مختلف التخصصات التي عليه أن يكون ملما بها( علم الاقتصاد، التاريخ، الجغرافيا، علم النفس، علم الاجتماع، الديموغرافيا، الاثنوغرافيا)

ومن هذا التعدد المنهجي اعتبر مندراس الأنثروبولوجيا القروية الفرنسية معرفة متعددة التخصصات، وتتميز عن الأنثروبولوجيا القروية الأمريكية.

حيث يقول في تعريفه للريف" أن الوسط الريفي هو حقل للبحث المشترك بين جميع تخصصات العلوم الاجتماعية، ودراسته لا يمكن أن تكون حقلا مستقلا. فالجغرافيون يقومون بتحليل العلاقة بين الانسان ووسطه الطبيعي، والاقتصاد الريفي هو فرع قديم من الاقتصاد السياسي. والتاريخ الاجتماعي له ارتباط كبير بالماضي الزراعي للإنسان ويحتل مكان كبير في وصف نشاط الحياة الريفية. وكذلك الاثنولوجيا تدرس البنيات القديمة للانسان، أين انشغل البحث في دراسة مصادر عيش الانسان. وأخير سواء الحضري أو الريفي هو من اهتمام عالم النفس والديمغرافيا.

# **Marcel Jollivet**, La « vocation actuelle » de la sociologie rurale, ruralia, revue de l’association française, 1997.

**3-المدرسة الأمريكية:**

وهي مدرسة شيكاغو، يعتبر العالم ليبرتي هايد بيلي Liberty hadebaily المؤسس الفعلي للأنثروبولوجيا القروية في أمريكا مند العشرينات.

تجلت هذه المحاولة من خلال أبحاث كل من وليام إسحاق توماس W.I.Thomasوهوريان زنانيكيHorian Znanieky على الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا بين (1918-1920)، من هنا بدأت تتشكل الملامح الأولى لهذه المعرفة.

-ساهمت الصناعة والتكنولوجيا في فرز المجتمع الريفي عن الحضري الذي تأثر بالنمو السريع في شتى مجالات الحياة. لقد جلب هذا التحول اهتمام الجامعات، وبالأخص جامعة شيكاغو التي كانت السباقة في الاهتمام بحقل الدراسات القروية.

-وبعد ذلك برز العديد من الأنثروبولوجيين الذين تحولوا إلى دراسة المجتمع الريفي/القروي، وتوصلوا في أبحاثهم إلى نتيجة، وهي أن:

"الأرياف/(ج.ريف) تتشابه إلى حد كبير في كثير من مناطق العالم، ويعود ذلك إلى اشتغالها بالزراعة والإقامة بالقرى، وتعتبر العائلة الوحدة البنائية الأساسية في التنظيم الاجتماعي في المجتمع الريفي".

نذكر من بين هؤلاء الباحثين العالم ر.رد فيلدR.R.Field المهتم بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، الذي كان يشعر دوما بضيق نطاق هذا الحقل(أ.اجتماعية) لأنه اقتصر على دراسة المجتمعات البدائية فقط، هذا ما حفزه على التحول إلى دراسة عالم الريف والقرية.

ركز رد فيلد على دراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد التي أدت إلى وجود نظام قيمي، واستطاع أن يحدد مسار تطوري للمجتمع كما يلي:

المجتمع البدائي ـــــــ م.الريفي ــــــــ م. الحضري

ومما قاله:

-أن المجتمع الريفي القروي يوجد في درجة متقدمة عن المجتمع البدائي.

-أن القرية تتميز بثقافة تظهر معالمها في التقاليد الصغرى، لا يمكن فهمهاإلا في ضوء التقاليد الكلية للمجتمع الكبير، وبخاصة تلك السائدة في المدن.

**-استخلص رد فيلد خصائص المجتمع الريفي فيما يلي:**

-الاستقلال النسبي لسكان الريف بالنسبة للمجتمع العام.

-أهمية الحياة العائلية كزمرة بنييوية، أي أن العائلة تشكل زمر(وحدات ثقافية واجتماعية)في المجتمع Structures على شكل إقطاعية صغيرة.

-تميز الاقتصاد بالاكتفاء النسبي، وارتباطه بالاقتصاد العام(الوطن)، بمعنى الاكتفاء في المنتجات الزراعية فقط، أما المنتجات الصناعية ترتبط بالاقتصاد العام للبلاد.

-أهمية ودور الأعيان في حياة القرية/الريف(الشيخ، المقدم، كبير السن....)

-التعارف المتبادل من خلال العلاقات الداخلية(التضامنية) مثل روابط الزواج، المقايضات في العمل والاستهلاك ووسائل العمل.

وهنا يستند إلى نظرية التضامن الآلي والعضوي للعالم الفرنسي دوركايم.

|  |  |
| --- | --- |
| التضامن الآلي | التضامن العضوي |
| مجتمع ريفي بسيط | مجتمع حضري(مدينة) |
| التجانس بين الأعضاء | الاختلاف والتعقيد |
| كرم الضيافة | المنافسة |
| الجماعة | الفردانية |
| التضامن والتعاون | العدواة |
| أدوات الضبط الاجتماعي | أدوات الضبط الرسمي(القانون) |

**المحاضرة التاسعة**

**-نظريات المجتمع الريفي:( نظريات المداخل)**

**خصائص المجتمع الريفي عن الحضري:**

يميل الباحثون في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بشكل خاص إلى تحديد الخصائص المحددة للأنماط المجتمعية من تسهيل تناولها ودراستها وإعطائها الصبغة العلمية، ومن بين هذه الأنماط تقسم المجتمعات إلى مجتمعين ريفي وحضري.

حيث يربط علماء الاجتماع عند تحديديهم لسمات المجتمع الريفي بين تلك السمات وما يقابلها من سمات وخصائص تميز المجتمعات الحضرية. أو كما يقال " من ضدها تعرف الأشياء"

و فيما يلي: نقدم بعض النظريات التي تحدد المجتمعات الريفية من خلال الفروقات الريفية الحضرية، وهي عبارة عن مداخل تفسيرية وتعريفية للمجتمعين الريفي والحضري، مع ذكر بعض الانتقادات التي وجهت لهذه المداخل والنظريات.

**أولا: مدخل الثنائيات:**

**1-ابن خلدون(1332-1406):**

يعتبر ابن خلدون أول من لفت الأنظار إلى الفرق الحضر والريف.

حيث رأى أن الريف يكون بضواحي المدينة ، بينما الحضر يكون بضواحي الأمصار والقرى والمدن. وقال أن اختصاص الريف والبدو بالزراعة والرعي ، وهو أمر ضروري لهم، في حين أن الصناعة هي من اختصاص أهل الحضر. وبذلك اعتبر كل من الريف والحضر مجتمعان متكاملان هما اللذان يكونان المجتمع العام.(ابن خلدون، المقدمة، ص210)

لقد أشار ابن خلدون إلى مصطلح"الأمصار"،وهي المدن الكبرى التي توجد فيها المرافق العامة والمدارس والمستشفيات والأسواق، مثل بلاد مصر.لكن هناك من يفسر "الأمصار" جمع "المصر" وهو الحد /جمعه: الحدود ، كأن تقول المنزل المحدود بمصوره أي بحدوده. أو تقول: اشترى الرجل المنزل بأمصاره، أي بحدوده في جميع الجهات الأربعة.

**2-هربرت سبنسر 1903-1820 -)) H.Spencer**

يرى سبنسر أن المجتمع الريفي هو مجتمع زراعي يتميز بالبساطة وعدم التعقيد، حيث لا يتأثر بالتأثيرات الخارجية، حتى وإن تأثر فدرجة التأثير تكون ضعيفة.(المرجع: عبد الحميد بوقصاصة، ب/ت، ص21)

**3- إيميل دوركايم:**

أما العالم الفرنسي إيميل دوركايم، فيرى أن المجتمع الريفي يتميز بالبساطة في الحياة والبساطة في الانتاج، والمهنة التي يمارسها تنحصر في الزراعة والرعي التي تتميز بضآلة التخصص وتقسيم العمل، كما أنه مجتمع يفتقر إلى العناصر التكنولوجية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتسوده علاقات العرف وقواعد تقاليد الجماعة، وهي المهيمنة في المجتمع.

**4- فرديناند تونيز الألماني (Ferdinand Toennies)**

قدم هذا العالم نموذجين في الدراسات الحضرية والريفية، وهما المجتمع المحلي الصغير وسماها المجتمع الريفي، والمجتمع الكبير وسماه المجتمع الحضري. حيث حصر النمط الاقتصادي للمجتمع الريفي في الزراعة، بينما نمط المجتمعات الحضرية قائم على التجارة.

وقال أن الاختلاف بين المجتمعين يكمن في أن أحدهما يتسم بالطابع العائلي، أي المجتمع الريفي، بينما الآخر يتسم بالطابع الرسمي والعقائدي وهو المجتمع الحضري.

**ملاحظة:**

لقد تلقى نموذج الثنائيات انتقادات من طرف دارسي علم الاجتماع الحضري، أهمها أن هذا النموذج لا يمثل سوى وسيلة مبدئية يصعب الاعتماد عليها بصفة كلية في التمييز بين الريف والحضر. لأن هذا المدخل يغفل عاملا هاما في تشكيل هذه المجتمعات.

**ثانيا: مدخل استخدام المحك الواحد:**

يعتمد هذا المدخل على المعيار الواحد في التمييز بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، وأبرز ذلك ينحصر في الحجم السكاني، ومن ثم ينظر إلى التحضر على أن مصدر هو التركيز السكاني.

**الانتقاد:**

لم يسلم أيضا هذا النموذج من الانتقادات، لأن أصحاب هذا المحك كثير ما نوا يستعينون بعوامل أخرى للتمييز بين المجتمعين ، لأن مقياس الكم غير كاف خاصة بالنسبة للمجتمعات التي تتواجد فيها فئات سكانية عالية قد تتجاوز 5 آلاف إلى 10 آلاف نسمة.

حيث أن القرية بهذا الحجم في افريقيا مثلا تختلف اختلافا بينا عن القرية في أوروبا وأمريكا بالرغم من الحجم الواحد لكليهما. ومن ثم فإن التمركز السكاني لا يصلح للتمييز بين الريف والحضر وإلا لكانت مدن العالم الثالث أكثر مدنية وتحضرا مثال على ذلك مدينة القاهرة(مصر). (رشيد زوزو، 2008 ،ص 55)

**ثالثا: استخدام المحكات المتعددة في التمييز بين الريف والحضر:**

يأخذ بهذا المعيار العلماء لويس وارث وريمون فيرث وزيمرمان وسوروكين، ولعل أبرزهم العالم ريد فيلد الذي وضع تصنيفات للتمييز بين الريف والحضر، تتمثل في مجموعة العوامل أهمها:

-حجم سكان المجتمع المحلي.

-الكثافة السكانية.

-تقسيم العمل

-التدرج الطبقي والتمايز الاجتماعي.

-الانتقال المكاني.

-البيئة.

-نظم العلاقات والتفاعل الاجتماعي.

واعتبر المعيار الأساسي للتمييز بين المجتمعين هو الزراعة وما يحيط بها أي الانتاج الزراعي، والنباتي والحيواني، وجمع الثمار والرعي وحفر الأرض.(السيد رشاد غنيم، 2008، ص62)

**رابعا: المتصل الريفي الحضري:**

تستند هذه الفكرة من الناحية النظرية إلى افتراضيين أساسيين هما:

الأول: هو أن المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية إلى الحضرية، وفقا لعدد من الخصائص أهمها:

1-ازدياد حجم المجتمع بشريا وعمرانيا.

2-أن هذا التدرج يصاحبه بالضرورة اختلافات في أنماط السلوك والتصرف.

**-صعوبات في دراسة المجتمع الريفي:**

من خلال الأبحاث والدراسات لهذا المجتمع برزت عدة صعوبات لدى الباحثين، أهمها:

1-صعوبة تعميم بعض المفاهيم المرتبطة بالمجتمع الريفي على كل المجتمعات، مثل بدوي، قروي، ريفي. ويرجع هذا لاختلاف مقاييس تعريف المجتمع الريفي من بلد إلى آخر حسب ظروف تكونها وتشكلها التاريخي(المجتمع الأوروبي، المجتمع العربي، العالم النامي...)

2-عدم اتفاق العلماء على مناهج ومقاييس علمية موحدة لتعريف ودراسة المجتمع الريفيبين الأوروبيين أنفسهم ما بالك بين الغرب والعالم الآخر.

3-النموذج الريفي مفهوم معقد يصعب إدراكه، رغمما يبدو عليه من بساطة، ولكن في حقيقة الأمر هو الأكثر تعقيدا من حيث بناءه ووظيفته(مثل تعقيد المجتمع البدائي في نظر ك.ليفي ستروس).

4-المصالح المادية لا تحتل المكانة الأولى في المجتمعات الريفية، ولكنها ليست معدومة، بل توضع في المرتبة الثانية بعد نمط وسلوك الإنسان الريفي، وكيفية تشكيل معتقداته وتصوراته وتعاملاته مع الآخر. وهي عبارة عن خبايا وأسرار تزيد من تعقيد الدراسة.(نموذج التبادل الاقتصادي مبني على المكانة الاجتماعية التي يحققها الأفراد من الهدايا والعطاءات التي يقدمونها في المناسبات، مثل ظاهرة البوتلاتش.

5-صعوبة تخلص الفرد الريفي من تمثلاته ومخياله البيئي(البادية-الريف) بمجرد تغيير المكان أو الهجرة إلى منطقة حضرية. عندما يهاجر ليعيش باقي حياته في المدينة لا يتغير في سلوكه وطبائعه، يبقى بدوي/ريفي مهما لبس لباس الحداثة، مثل المهاجرين الجزائريين في فرنسا حافظ الكثير منهم على ريفيته، وقد ظلوا أوفياء للكلمات والطقوس التي تعلموها في صغرهم ومتمسكين بها بالرغم من مرور سنوات على هجرتهم للبلدان المتقدمة.